التنمية البشرية في السنة النبوية..
وتطبيقاتها الدعوية
دراسة في الدعوة والدعاة

إعداد
دكتور/ رائد محمد أبورية
دكتوراه الدعوة والثقافة الإسلامية
جامعة الأزهر

ملخص :

لا شك أن العنصر البشري هو أطهر وأرقى العناصر التي خلقها الله تعالى – على الإطلاق – ولا أدلّ على ذلك من تفضُّل الله عليه بأن أودع فيه سره المكنون وهو الروح، كما قال تعالى: (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ) [1].

ومن المعلوم أن التنمية البشرية مصطلح معاصر لم يكن معلوما عند العلماء السابقين، ولكن هنالك دراساتٍ معاصرةً تناولته صراحة ، والفرق أن الدراسة التي أقدمها اليوم – فيما أزعم – تتسم بصفة الشمولية؛ فهي تتعرض لجميع جوانب التنمية في العنصر البشري؛ سواء الروحية منها والحياتية (المجتمعية).

وأن السنة النبوية مشحونة بكثير من المواقف والأحداث التي من شأنها تنمية المهارات في العنصر البشري.

(١) سورة السجدة، آية (٧) .

Abstract:

There is no doubt that the human element is the purest and finest elements created by God - at all - and there is no evidence of that God prefers him to deposit the secret of the Mknon the spirit, as the Almighty said: (who did everything good creation and began to create man from clay.

It is known that human development is a contemporary term that was not known to former scholars, but there are contemporary studies that I have dealt with explicitly, and the difference is that today's study, as I have argued, is comprehensive; it is exposed to all aspects of human.

The Prophetic Sunnah is fraught with many situations and events that will develop skills in the human element .

مقدمة

لا شك أن العنصر البشري هو أطهر وأرقى العناصر التي خلقها الله تعالى – على الإطلاق – ولا أدلّ على ذلك من تفضُّل الله عليه بأن أودع فيه سره المكنون وهو الروح، كما قال تعالى: (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ) (١).

كما أنه المخلوق الذي زوده الله بالعقل وكرّمه، وفي مقابل ذلك كلّفه بما لم يكلفْ به غيرَه .

وما دام الإنسان قد مُنح هذه العطاءاتِ، وأوتي تلك الصفاتِ، ووُهب أكثر الملكات فإن عليه أن يحافظ عليها ويطورها ليكون على قدر مسؤولية الخلافة التي طُوِّقت في عنقه وصار بمقتضاها مسؤولاً عن إعمار الكون والاستفادة من خيرات الأرض، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) (٢).

كما سخر الله له الكون بما فيه لخدمته، قال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لَّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (٣).

---

(١) سورة السجدة، آية (٧) .

(٢) سورة البقرة، آية (٣٠).

(٣) سورة الجاثية : ١٢ – ١٣ .

وأنَّى لبشر استخلفه الله في أرضه وسخر له عناصر الكون أن يعمرّها وينميَها دون أن ينمي نفسه أولاً، ويصقل مهاراتِه ليكون عنصرًا فاعلاً ومتجدداً!!

والدعاة إلى الله هم أولى الناس باستخدام تلك المهارات وتطوير أدائهم حسب متطلبات الدعوة في الوقت الراهن، وبما يتلائم مع تجديد الخطاب الديني الذي كثرت الدعواتُ إليه في هذه الفترة نتيجة المتغيرات الراهنة التي تمر بها الدول والشعوب، بلهَ الأفكارِ والثقافات.

- **الدراسات السابقة:**

من المعلوم أن التنمية البشرية مصطلح معاصر لم يكن معلوما عند العلماء السابقين، ولكن هنالك دراساتٍ معاصرةً تناولته صراحة، وهنالك دراساتٌ أشارت إليه مجرد إشارات، ومن هذه الدراسات ما يلي:

١. التنمية البشرية في السنة النبوية (دراسة موضوعية) للباحثة/ سماح طه أحمد الغندور، وقد تناولت الباحثة في هذه الدراسة خصائص التنمية البشرية وبعض جوانب التنمية في الإنسان.
٢. التنمية البشرية من منظور إسلامي) الدكتور أشرف دوابة . بحث مقدم إلى الملتقى الدولي الثالث حول "واقع التنمية البشرية في اقتصاديات البلدان الإسلامية، كلية العلوم الاقتصادية والتسيير، جامعة الجزائر ٢٠٠٧ م. خلص فيه إلى أن مفهوم التنمية البشرية في الإسلا م مفهوم شامل، يهدف إلى إيجاد الإنسان الصالح الذي يبتغي الدار الآخرة ولا ينسى نصيبه من الدنيا فتتحقق له الحياة الطيبة . ثم تعرض لواقع التنمية عند الدول العربية وأن مستواها متدنٍ جداً ويحتاج إلى تطوير.

٣. التربية القرآنية وأثرها في التنمية البشرية، د/ عبد الحكيم الأنيس، وقد ذكر فيها بعض النماذج القرآنية التي تنمي بعض الصفات البشرية الخاصة بالجانب الأخلاقي فقط.

والفرق أن الدراسة التي أقدمها اليوم – فيما أزعم – تتسم بصفة الشمولية؛ فهي تتعرض لجميع جوانب التنمية في العنصر البشري؛ سواء الروحية منها والحياتية (المجتمعية).

- **منهج البحث:**

ومنهجي الذي سأتبعه في هذا البحث يتمثل في الآتي:

١. إيراد الأحاديث المتعلقة بتنمية العنصر البشري حسب المتاح، وتصنيفها لتتلائم مع فصول ومباحث الدراسة.
٢. إذا تكررت الروايات في المعنى الواحد كان تقديم الرواية الأسهلَ لفظاً والأوضحَ معنىً.
٣. إذا تعددت الروايات كانت رواية الصحيحين أو أحدُهما هي المقدمةُ عندي؛ وذلك للاتفاق على صحتها، كما أنني سأكتفي في التخريج برواية الصحيحين أو أحدهما.
٤. سأحاول أن أجمع في دراسة الأحاديث بين مراجع التراث والمراجع الحديثة؛ حتى أجمع بين الأصالة والمعاصرة في هذه الدراسة.
٥. كما سأذكر درجة الحديث من حيث الصحةُ أو الضعفُ إن كانت من غير الصحيحين.

- **خطة البحث:**

وقد اشتمل البحث على مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة .

المقدمة، وتشتمل على: الدراسات السابقة، ومنهج البحث.

الفصل الأول: تنمية الجانب السلوكي للداعية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التنمية الوجدانية مع الله.

المبحث الثاني: التنمية الأخلاقية مع الناس.

الفصل الثاني: تنمية الجانب الإبداعي في الداعية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: استنهاض مهارات التفكير العليا .

المبحث الثاني: اختيار الكفاءات وتوزيع الأدوار.

الفصل الثالث: تنمية الجانب القيادي في الداعية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: بناء الكوادر القيادية.

المبحث الثاني: بناء الكوادر الإدارية.

الخاتمة، وتشتمل على:

١. أهم النتائج والتوصيات.

فهرس الموضوعات.

الفصل الأول

تنمية الجانب السلوكي في الإنسان

- **تمهيد:**

لا مرية أن الجانب السلوكي أو (الأخلاقي) من أهم ما أكد عليه الإسلام، وكيف لا وقد لخص النبيُ (ﷺ) الهدفَ من بعثته فقال فيما رواه عنه أَبو هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ "(١).

والنفس البشرية بحاجة دائماً إلى التنمية المستهدفة والتهذيب المستمر لسلوكها وضبط تصرفاتها بحيث تلتزم بما ينبغي لا بما تشتهي.

ومن هنا فقد حرصت السنة النبوية . على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم . على تنمية ذلك الجانب من خلال كثير من النصوص التي تعالج السلوكيات المنحرفة، وتهذيب المعوج منها؛ سواء الجانب الوجداني مع الله، أو الجانب الأخلاقي مع الناس.

والداعية إلى الله يجد في هذه النصوص النبوية مادة دسمة يُصلح بها ما فسد من أخلاق الناس، وما اعوج من سلوكهم، وما شذَّ عن فِطرتهم.

كما أن الداعية ذاتَه يجد في هذا الجانب ما يُهذب به نفسه ويشحنها بالإيمان والعزم الصادق كي يستأنف مهامَّه التي نيطت به ويقومَ بها خير قيام على الوجه الذي طُلِب منه، وذلك ما سنتناوله في المبحثين التاليين.

(١) مسند أحمد، برقم (٨٩٥١). وقال الشيخ الأرنؤوط: صحيح، وهذا إسناد قوي، رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان، فقد روى له مسلم متابعة، وهو قوي الحديث.

المبحث الأول

التنمية الوجدانية (مع الله)

"الوجدان" مصطلح لم يستعمله القرآن الكريم، ولكنه قد استُخدم في علم السلوك وتنمية الروح وتنقيتها من الأدران والنقائص، وكثيراً ما كان يتردد هذا المصطلح على ألسنة العلماء الذين كانوا يتكلمون في علم السلوك كابن القيم، فقد أشار إلى هذه اللفظة في نونيته الشهيرة حين قال:

الخمر في الدنيا فهذا وصفها ..... تغتال عقل الشارب السكران

وبها من الأدواء ما هي أهله ... ويخاف من عدم لذي الوجدان[١].

وقد جاء في تعريفه أنه: " سمع القلوب وبصرها"[٢] ، وجعلوا من ذلك قوله تعالى: (فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)[٣].

وهو أيضاً: "لهيب ينشأ في الأسرار ويسنح عن الشوق فتضطرب الجوارح طربًا أو حزنًا عند ذلك الوارد"[٤].

ويعرّفه فارس هذا الميدان – ابن القيم– وهو يؤصل تلك المادة ويأتي بجذورها اللغوية، فيقول: "وأما الوجد فهو الحب الذي يتبعه الحزن، وأكثر ما يستعمل الوجد في الحزن، يقال: منه وجد وجداً بالفتح ونحن

(١) ابن قم الجوزية: متن القصيدة النونية، ط٢ مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٧هـ، ص٣٢٨.

(٢) محمد الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، ط دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤٠٠هـ، ص ١١٢.

(٣) سورة الحج، آية (٤٦) .

(٤) المصدر السابق، ص ١١٣ .

نذكر هذه المادة وتصاريفها، يقال: وجد مطلوبه يجده وجودا فإن تعلق ذلك بالضالة سموه وجدانا"[1].

ويقول في كتاب آخر: "الوجد هو ثمرة أعمال القلوب من الحب في الله والبغض فيه كما جعله النبي ثمرة كون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سواهما، وثمرة الحب فيه وكراهة عوده في الكفر كما يكره أن يقذف في النار فهذا الوجد ثمرة هذه الأعمال القلبية التي هي الحب في الله والبغض في الله"[2].

وعلى ذلك فالوجدان هو القوة الروحية التي تعمل في خفاء على توجيه الإنسان إلى فعل الخيرات والطاعات، وترك الفواحش والمنكرات، وهي من ملكات النفس البشرية التي ينبغي على الإنسان أن يعمل على تنميتها وتهذيبها متى أمكنه ذلك؛ إذ أنه يقوى بالاهتمام والتعزيز، ويضعف أو يتلاشى بالإهمال.

وهي المسؤولة عن تنمية العواطف والمشاعر في الإنسان، كما أنها المسؤولة عن عنصر الإرادة الحرّة في الإنسان، كما قال سبحانه وتعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) [3].

وهو ما يُعرف بالجانب العاطفي من الإسلام، بعيداً عن قضاياه المادية وتنظيماته الحياتية وزخم قضاياه الشائكة، وهو جانب يُعنَى في

(١) ابن قيم الجوزية: روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ط دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م، ص٢٥ .

(٢) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢ دار الكتاب العربي – بيروت، ١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣م (٣/ ٦٩).

(٣) سورة الشمس (٧، ٨).

الأساس بإنشاء حالٍ جديدة مع الله، أساسها السكون والطمأنينة، وغايتها الوصول إلى مرضات الله تبارك وتعالى.

ولقد اهتم الرسول الكريم (ﷺ) بتنمية الجانب الوجداني في نفوس الصحابة الكرام وتهذيب سلوكياتهم التي ورثوها عن الجاهلية الأولى، والتي عمل النبي – صلى الله عليه وسلم– طوال مدة دعوته على تطهيرها وإزالتها من نفوسهم؛ وبذا صفت نفوسهم، وزكت أرواحهم، واستقامت أخلاقهم فطابت لهم الدنيا والآخرة.

ومعنا من هذه النماذج الشيءُ الكثير، غير أنه يكفينا في إثبات ذلك – بالأمثلة – القليل.

ومن هذه الإشراقات المحمدية التي أنارت قلوب الصحابة ووجدانهم والتي حملتهم على تنمية الجانب الوجداني (الروحي) ما يلي:

١. **<u>الإخلاص:</u>**

لطالما حرص النبي – صلى الله عليه وسلم– على غرس وتنمية جانب الإخلاص في نفس المسلم؛ وذلك بأن يقصد المسلم بأعماله كلها وجه الله تبارك وتعالى وأن لا يكون لله فيها شريك كما جاء بذلك الدستور الإلهي في قوله تعالى: (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ) [١].

والإنسان مجبول على حب الذات والرغبة في ظهورها، لكن السنة النبوية تهذب هذا الطبع المنحرف وتوجهه نحو الله تبارك وتعالى وتدفعه دفعاً نحو إخلاص النية لله وحده لا شريك له، وفي ذلك كثير من الأمثلة، منها:

(١) سورة الزمر، آية رقم (٢).

عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ »(١).

فهذا الحديث الشريف يهذب طباع النفس البشرية المحبة للطمع وحب الظهور.

ومن ذلك أيضاً ما جاء في السنة النبوية عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) « إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ »(٢).

وفي ذلك تنمية لصفة التجرد لله والانسلاخ من الظاهر والاهتمام بأعمال الباطن، وأن ميزان قبول الأعمال هو الإخلاص لله والتجرد له دون سواه.

ومنه أيضا ما جاء عن أبي عبدالله جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاةٍ فقال: "إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض"(٣).

وفي هذا الحديث يقول الإمام النووي: " فِي هذا الحديث فَضِيلَة النِّيَّة فِي الْخَيْر ، وَأَنَّ مَنْ نَوَى الْغَزْو وَغَيْره مِنْ الطَّاعَات فَعَرَضَ لَهُ عُذْر

(١) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – حديث رقم (١).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ، حديث رقم (٦٧٠٨).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثَوَابِ مَنْ حَبَسَهُ عَنِ الْغَزْوِ مَرَضٌ أَوْ عُذْرٌ آخَرُ، حديث رقم (٥٠٤١).

مَنَعَهُ حَصَلَ لَهُ ثَوَاب نِيَّته ، وَأَنَّهُ كُلَّمَا أَكْثَرَ مِنْ التَّأَسُّف عَلَى فَوَات ذَلِكَ ، وَتَمَنَّى كَوْنه مَعَ الْغُزَاة وَنَحْوهمْ كَثُرَ ثَوَابه"(١).

فمجرد استحضار روح الجهاد في سبيل الله والإخلاص، مع وجود المانع من الخروج للجهاد جعلهم يتساوون مع من خرج للجهاد مع رسول الله (ﷺ) وفي ذلك تنمية لجانب الإخلاص عند المسلم.

وعن سعد بن أبي وقاص قال رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِى بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلاَّ أُجِرْتَ بِهَا ، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِى فِى امْرَأَتِكَ"(٢).

وفي هذا الحديث يغرس الرسول (ﷺ) في نفس سعد بن أبي وقاص قيمة الإخلاص لله حتى في أدق الأشياء وأيسرها وهي إطعام الزوجة في فمها، والتي قد يحسبها الكثيرون مجرد مداعبة.

يقول ابن حجر: " ويستفاد منه أن أجر الواجب يزداد بالنية لأن الإنفاق على الزوجة واجب وفي فعله الأجر فإذا نوى به ابتغاء وجه الله ازداد أجره بذلك..... ويواصل قائلاً: فيه أن الثواب في الإنفاق مشروط بصحة النية وابتغاء وجه الله وهذا عسر إذا عارضه مقتضى الشهوة فإن ذلك لا يحصل الغرض من الثواب حتى يبتغي به وجه الله"(٣).

حظّ الداعية من الإخلاص

والإخلاص بالنسبة للدعوة هو لُحمتها وسُداها، وبدونه يكون سعي الداعية هباءً .

---

(١) أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط٢ دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٣٩٢هـ (٦/ ٣٩٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب رِثَاءِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – سَعْدَ ابْنَ خَوْلَةَ، رقم (١٢٩٥)

(٣) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ (٥/ ٣٦٧).

وأعني بالإخلاص؛ الإخلاصَ في الكلمة التي يلقيها على الحاضرين، والإخلاصَ في النصيحة التي يهديها للسائلين، والإخلاصَ في الحب الذي يغمر به المدعويين، فالداعية لا يداهن المدعووين ولا ينتظر منهم الثناءاتِ ولا المدائحَ نظير ما يقول.

إن محاولة إرضاء الجمهور في الخطبة على حساب ما يعتقده الخطيب يُفقده مصداقيته وهيبته أمام الناس، وكذا مبالغته في إطراء ومدح البعض يؤدي إلى نفس النتيجة.

"وخطيب اليوم؛ دينياً كان أم سياسياً تراه يغالي برصف كلمات رنانة وأوصاف طنانة وتمجيد خارق للتصور والخيال بغية المداهنة والمصانعة والرياء، فتشع من ثنايا خطبته رائحة عفنة هي رائحة التملق والنفاق وحب الظهور"(١).

ولا بد أن تتوفر في الداعي إلى الحق مجاهدة نفسية، وترويض لسلوكه ومبادئه، وضبط النفس ليكون القدوة الحسنة، وحتى تُرى القيم العليا والمبادئُ الرفيعة التي تشكل كِيانُ الدعوة إلى الحق فيه سلوكاً وأخلاقاً ومعاملةً.

وينكر القرآن الكريم على أصحاب الدعوة الركونَ إلى المعارضين لقوتهم، أو لصلتهم بهم؛ لأن الدعوة حينئذ لا تكون غايةً، وقد يشك الناس في الإيمان بها، ويؤدي ذلك إلى إخفاقها تماماً.

(١) د. وهبة الزحيلي: من مقال بعنوان/ ظاهرة المديح في المجتمعات المتخلفة، مجلة الوعي الإسلامي، ع (٨٠).

يقول تعالى في القرآن الكريم: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾(١).

فأصحاب الدعوة يؤاخَذون ويوجَّهون إلى الصواب إن هم مالوا عنها ولو متأولين: فلا مجال للميول والعواطف الشخصية في الدعوة إلى الحق، حتى يستقيم أمرها على أحسن حال.

فلا بد إذن أن يُروِّض الداعية نفسه على سلوك الطريق السويِّ والتزامه به، وأن يصارح المدعويين بالأخطاء التي تصدر عنهم، وتجنب وقوعها مستقبلا، وتوفير الثقة فيما بينهم، وللحيلولة دون الظنون والشائعات في المجتمع حتى تنجحَ دعوتُه.

٢. **<u>التوبة والاستغفار:</u>**

كثيرا ما كان يحرص الرسول (ﷺ) على تذكير المسلمين بالتوبة والاستغفار بين الحين والآخر كلما شعر الإنسان بالتقصير في جنب الله أو الوقوع في معصيته، وفي ذلك تنمية لروح الندم في نفسية الإنسان المسلم، وفي ذلك يقول الرسول (ﷺ) كما رواه ابن عمر رضي الله عنهما: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّى أَتُوبُ فِى الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ "(٢).

فإذا كان هذا هو حالَ الرسول (ﷺ) فنحن المسلمين أحوج إلى ذلك منه وقد كثرت معاصينا، وهو – صلى الله عليه وسلم– قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

---

(١) سورة المجادلة، آية ٢٢ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، حديث رقم (٢٧٠٢).

وفي حديثٍ آخرَ ينمّي الرسول (ﷺ) في الصحابة روحَ الأمل وعدم اليأس من رحمة الله، ويقتل فيهم الشعور بالقنوط، ويفتح لهم أبواب رحمة الله كما سبق أن أعلنها الله سبحانه وتعالى في قرآنه بقوله (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) (١).

لأنه هو وحده – سبحانه – من يملك منح التوبة لأحد أو منعها عنه، كما في قوله تعالى:(مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٢).

فعنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) " مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ "(٣).

وعَنْ أَنَسٍ بن مالك أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، فَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ "(٤).

وفي هذا الحديث أيضا يوضح الرسول – صلى الله عليه وسلم– للمسلم أن الإنسان ليس ملاكاً معصوماً ولكنه بشر يصيب ويخطئ.

ولا يعطِي هذا الحديث مُسوِّغاً للإنسان أن يستمر في معصية الله تعالى، بل إنه مأمور بتعديل مساره وتهذيب نفسه . ويأتي العلاج في الحديث نفسِه في الجملة الثانية من الحديث والتي تفتح له باب الأمل والرجاء في رحمة الله تبارك وتعالى.

---

(١) سورة الأعراف، آية (١٥٦).

(٢) سورة فاطر، آية (٢).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب اسْتِحْبَابِ الإِسْتِغْفَارِ وَالإِسْتِكْثَارِ مِنْهُ، حديث رقم (٧٠٣٦).

(٤) مسند أحمد، حديث رقم (١٣٠٤٩) تحقيق : شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد ، وآخرون، ط١ مؤسسة الرسالة ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م (جـ٢٠/ صـ ٣٤٤)، والحديث إسناده ضعيف، فيه علي بن مسعدة الباهلي، وهو ضعيف كما قال المحقق الشيخ شعيب الأرنؤوط.

حظ الداعية من التوبة والاستغفار

والداعية لابد أن تكون له مع الله علاقةٌ خاصة، وهو في هذه الحال أشبهُ (بالبطارية) التي يزودها صاحبها بالشحنات الكهربية حتى تؤديَ عملها بنشاط وتواصل مهمتها على الوجه الأكمل.

والداعية في كل الأحوال بشرٌ، وأقصد من وراء ذلك أن طبيعته البشرية تلح عليه بين الحين والآخر بالمخالفة وتحضُّه على الدعةِ والكسل.

والداعية باستغفاره لربه وتوبته إليه دائماً ينسلخ من إرادته وقوته وحوله إلى حول الله تعالى ويطلب منه المغفرة على ما قصّر فيه، والتوبة عما وقع فيه.

ومن المعلوم أن المعاصيَ سبب من أسباب الحرمان من العلم، فتأتي التوبة لتكون بمثابة عقد جديد بين الداعية وربه لاستئناف دعوته من جديد.

"إن الباحث في سير الدعاة يلاحظ أنهم كانوا أكثر تأثيراً في الناس بسلوكهم وثبات أخلاقهم على كل الأحوال، فعين الجمهور فاحصة. ومنطقة الأفعال أقوى في الإقناع، وإن القدوة الحسنة لا يعدلها شيء في حسن التأثير فالكلام صفة يجيدها الكثيرون، بلهَ الكذابين، ويعرف سبيلَها المخلصون والمنافقون، ولذا كان أول ما يجب أن تنصرف إليه همة الداعية هو إصلاح نفسه وتعهدها بالتدريب والتهذيب فإن أنس منها خيرا أمكنه أن ينطلق برسالته إلى الآخرين"(١).

(١) عبدالبديع صقر: كيف ندعو الناس، نشر الاتحاد العالمى للمنظمات الطلابية، ص٥٦.

ثم إن الداعية بمداومته على التوبة والاستغفار يتشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول:

" يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إلى الله وأستغفر كل يوم مائة مرة أو أكثر من مائة مرة"(١).

٣. <u>الزهد:</u>

لقد حرص الرسول (ﷺ) على أن يربي نفوس المسلمين على الترفع على الدنيا والاستعلاء على مغرياتها وزهْوها حتى لا يكون هناك أحد أكبر في عينيه من الله تبارك وتعالى، وفي ذلك تنمية لجانب الروح الذي يربط الإنسان بخالقه، واستعلائه على جانب المادة الذي يربطه بأصله الكدِر وهو الطين.

ومن مظاهر ذلك أن يزهد الإنسان فيما عند الناس، كما قال تعالى: (وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى)(٢).

كما تقرر السنة النبوية هذا المبدأ بجلاء موضحة أن الزهدَ فيما في أيدي الخلق، وعدمَ الطمع فيما في أيديهم، وعدمَ التعلق بأحد غيرِ الله لهُو أفضلُ السبل إلى حب الله للمسلم.

فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ، قَالَ : "أَتَى النَّبِيَّ (ﷺ) رَجُلٌ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ ؟

(١) سنن النسائي الكبري، من حديث أبي بردة، رقم (١٠٢٧٨). وفي مسند أحمد رقم (٢٣٥٣٥) قال المحقق: صحيح على شرط مسلم

(٢) سورة طه ، (١٣١).

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ : ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاس"(١).

والزهد يجعل الإنسان حرًّا خالياً من القيود إلا من قيد التكاليف الشرعية التي تحمَّلها؛ لا ينحني لأحد، ولا يخضع لأحد، ولا يقول إلا ما يعتقد؛ وذلك لأنه يعلم أن الدنيا مجردُ ساعة.

وفي تأكيد هذا المعنى وردت كثير من النصوص، والتي منها ما جاء في صحيح البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما – قَالَ: " أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) بِمَنْكِبِي فَقَالَ « كُنْ فِى الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ » . وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ"(٢).

فهذه تنمية لروح الإنسان وتربية له على الاستغناء بالله عن الناس، لا يأخذ من دنيا الناس إلا كما يأخذ المسافر الغريب؛ يأخذ فقط ما يكفيه في سفره وترحاله ويدع ما يزيد على ذلك.

يقول ابن حجر في شرح هذا الحديث: " شَبَّهَ النَّاسِك السَّالِك بِالْغَرِيبِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَسْكَن يَأْوِيه وَلَا مَسْكَن يَسْكُنهُ ، ثُمَّ تَرَقَّى وَأَضْرَبَ عَنْهُ إِلَى عَابِر السَّبِيل لِأَنَّ الْغَرِيب قَدْ يَسْكُن فِي بَلَد الْغُرْبَة بِخِلَافِ عَابِر

(١) ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجة،تحقيق: محمود خليل، ط مكتبة أبي المعاطي، القاهرة. كتاب الزهد، بَابُ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، حديث رقم (٤١٠٢)، وقال الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٩٢٤): (صحيح)

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قَوْلِ النَّبِىِّ – صلى الله عليه وسلم – كُنْ فِى الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، حديث رقم (٦٤١٦).

السَّبِيل الْقَاصِد لِبَلَدٍ شَاسِع وَبَيْنهمَا أَوْدِيَة مُرْدِيَة وَمَفَاوِز مُهْلِكَة وَقُطَّاع طَرِيق فَإِنَّ مَنْ شَأْنه أَنْ لَا يُقِيم لَحْظَة وَلَا يَسْكُن لَمْحَة"(١).

ولذا ناسب ذلك أن يتبعها بقوله" إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ.. إلخ".

وفي النهاية يحسن أن أقول: إن أهمية التنمية الوجدانية التي استخدمتها السنة النبوية تكمن في انتصار جانب الروح على جانب المادة، كما أنها تحصّن الإنسان وتحميه من مفاتن الحياة الدنيا فيرى الدنيا حقيرة في عينيه؛ ومن ثمّ يرى الآخرة خيراً له، ويرى ثوابها أنفع، ونعيمها أمتع.

حظ الداعية من الزهد

حين ينتظر الداعية عطاءً من أحد مدعويه يسقط من عينه، أما إذا زهد الداعية فيما في أيدي محبيه كان عندهم عزيزاً، ولعل ذلك هو ما يعنيه النبي بقوله في الحديث السابق: "وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاس".

وقد كان الزهد دأب علمائنا . رحمهم الله تعالى . كانوا يردون عشرات الآلاف من الدراهم والدنانير التي تأتيهم من الناس، ومنهم على سبيل المثال أبو حنيفة النعمان بن ثابت – رضي الله عنه– فقد دفع إليه أبو جعفر المنصور بكيس من النقود فيه ثلاثون ألف درهم، مع بخل المنصور وشحه، لكن الإمام أبا حنيفة النعمان بن ثابت – رحمه الله– رده وقال: "يا أمير المؤمنين! إني غريب في بغداد، وليس لهذا المال موضع عندي، وإني أخاف عليه فاحفظه لي في بيت المال، حتى إذا احتجته

(١) ابن حجر: فتح الباري، مصدر سابق، (جـ ١٨/ صـ ٢٢٤).

طلبته منك"، فأجابه المنصور إلى رغبته؛ فتوفي أبو حنيفة بعدها بقليل، فلما سمع المنصور بذلك قال: "يرحم الله أبا حنيفة! فقد خدعنا، وأبى أن يأخذ شيئا منا، وتلطف في ردنا.

وموقف شيخ الأزهر الشيخ الخضر حسين يوضح كيف يكون زهدُ الداعية . ومن ثم شجاعتُه . فذات يوم، اتصل به صلاح سالم، أحد قيادة حركة يوليو، وقال له فى لهجة حادة: "يا شيخ، احضر غدًا إلى بمكتبى لنتناقش فى أمور تتعلق بالأزهر"، فرد عليه: "يا صلاح أفندى: شيخ الأزهر لا يذهب لأحد إلا لرئيس الجمهورية لأن له بيعة فى عنقه، فإذا أردت شيئًا منى، فأحضر إلى مكتبى، وأغلق الهاتف فى وجهه، وعندما أرادت حركة يوليو أن تصدر قانون التطوير، جاءه الشيخ أحمد حسن الباقورى، وزير الأوقاف وقتها، إلى مكتبه ليشرح له مواد القانون، واستمع إليه، ثم قال للباقورى: "يا أحمد، أتدرى كم أنفق في اليوم؟"، فقال الباقورى: "لا أدرى يا مولاى!"، فقال الشيخ: "ثمن رغيف واحد وكوب من اللبن هما غذائى طيلة النهار، يا أحمد، ضُم أوراقك فما أُحب أن أغضبك"(١).

(١) الشيخ أحمد ربيع: من المواقف الخالدة لعلماء الأزهر، الناشر: كشيدة للنشر والتوزيع، سلسلة مفردات أزهرية معاصرة، ط١، ١٧٧ .

المبحث الثاني

التنمية الأخلاقية (مع الناس)

لقد اعتنى الإسلام بجانب الأخلاق منذ أول عهده وحضّ عليه، ولقد كان سيدنا محمد (ﷺ) هو المثل الكامل والنموذج الأمثل في الأخلاق.

لقد صنع الله نبيه محمدًا (ﷺ) على عينه، واصطفاه على غيره خَلْقاً وخُلُقاً؛ وبذلك استحق أن يمدحه ربه بقوله :(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [(١)].

وتجسد أمنا عائشة – رضى الله عنها – هذا الوصف فتقول عنه:" كان خلقه القرآن"[(٢)] .

وقد حدَّد النبى (ﷺ) الغاية من بعثته فقال :" إنما بُعثت لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاق . وفى رواية . إِنَّمَا بُعِثْتُ لأتَمِّمَ صَالِحَ الأخْلاقِ"[(٣)] .

يقول الأستاذ/ مصطفى صادق الرافعى – يرحمه الله – "ليس فى التاريخ العربي كلِّه من جُمعت صفاتُه وأحصيت شمائله، وتواتر النقل بذلك جميعه من طرق مختلفة على توثيق إسنادها . غيرُ النبى (ﷺ) ، وهذا أصل لا يُعدل به شئ فى بيان حقائق الأخلاق ، والاستدلال على قوة الملكات ، واستخراج الصفات النفسية التى حصل من مجموعها أسلوب الكلام على هيئته وجِهته ، وانفرادٌ بما عسى أن يكون منفردًا به، أو شارك فيما عسى ان يكون مشاركاً فيه"[(٤)] .

---

(١) سورة القلم : آية ٥ ".

(٢) مسند أحمد:عن عائشة رضى الله عنها برقم (٢٤٦٠١) ، وقال الشيخ الأرنؤوط : حديث صحيح .

(٣) المرجع السابق :عن أبى هريرة ، برقم (٨٥٩٥) وانظر السلسلة الصحيحة (٤٤/١) برقم٤٥ .

(٤) مصطفى صادق الرافعى : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مراجعة أ : نجوى عباس ، ط١ مؤسسة المختار . القاهرة ، ص٢٢٣ .

والدعاة إلى الله لا بد أن يكون له حظ وافر من الأخلاق في تعامله مع الناس؛ أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان من دعائه دائماً: "..... وَاهْدِنِى لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ لاَ يَهْدِى لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّى سَيِّئَهَا لاَ يَصْرِفُ عَنِّى سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ"(١).

وعن زياد بن علاقة عن عمه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء"(٢).

كما كان يدعو (ﷺ) بقوله فيما روته عنه عائشة: "اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي"(٣).

ومن ثم عمل النبي (ﷺ) على نقل هذه الأخلاق لأبناء جيله من المسلمين لتكون سنة لمن بعدهم في السير على خطاها، ومن ذلك:

١. **تنمية التنافس في الخيرات:**

ولعل السر في تنمية روح التنافس والاستباق في الخيرات يكمن في أن يطوّر الإنسان من نفسه ولا يقف عند حدّ معين لا يتعداه إلى ما بعده، وقد أقر القرآن الكريم هذا المبدأ بقوله تعالى: (فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ)(٤)

وقوله سبحانه: (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)(٥).

وقد جاء في السنة النبوية كثير من المواقف التي تشجع على التنافس بين الصحابة، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

---

(١) صحيح مسلم، ك صلاة المسافرين، باب الدعاء فى صلاة الليل وقيامه، رقم (١٨٤٨).

(٢) سنن الترمذي، ك الدعوات، باب أي الكلام أحب إلى الله ، رقم (٣٥٩١).، وقال الشيخ شاكر: صحيح.

(٣) ارواء الغليل للألباني (١/ ١٢٣) رقم (١١٣).

(٤) سورة البقرة، آية (١٤٨).

(٥) سورة المطففين، آية: ٢٦.

١- عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ "لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِى اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ فَقَالَ لَيْتَنِى أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِىَ فُلاَنٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهْوَ يُهْلِكُهُ فِى الْحَقِّ فَقَالَ رَجُلٌ لَيْتَنِى أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِىَ فُلاَنٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ"(١).

٢- ومن ذلك أيضا ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِى النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِى التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِى الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا"(٢).

٣- ومن هذا الباب كذلك ما رواه سيدنا عمر بن الخطاب، قال: "أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالاً ، فَقُلْتُ : اليَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا ، قَالَ : فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: وَسَلَّمَ : مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ ؟ قُلْتُ : مِثْلَهُ ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ ، فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ ؟ قَالَ : أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، قُلْتُ: لاَ أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا"(٣).

فهذه النصوص كلُّها داعيةٌ إلى التنافس في وجوه الخير والبر بعيداً عن مظاهر الحقد والحسد، ونتعلم من ذلك ضرورة أن يتنافس أبناؤنا في

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب اغْتِبَاطِ صَاحِبِ الْقُرْآنِ ، حديث رقم (٥٠٢٦).
(٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الاِسْتِهَامِ فِى الأَذَانِ، حديث رقم (٦١٥).
(٣) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر و عمر رضي الله عنهما كليهما، حديث رقم (٣٦٧٥)، وقال (الترمذي) هذا حديث حسن صحيح، وقال الشيخ الألباني في تعليقه على الحديث: حسن.

حفظ كتاب الله تعالى، وأن يتنافس العلماء في تقديم ما يحتاجه الناس من صور العلم والمعرفة، وضرورة أن يتنافس المخترعون في اختراع ما يفيد البشرية، وأن تتنافس المؤسسات الخيرية في كفالة المحتاجين؛ كلٌ حسب تخصصه وطاقته.

والتنافس في حياة الداعية يكون بالتقدم على أقرانه في تحصيل العلوم، وكذا في طريقة عرضها على الجماهير، وابتكار الأساليب المناسبة لكل فئة من المستمعين.

فليس عيباً أن يفوق إنسان أخاه في علم أو خبرة أو في أي مجال من مجالات الحياة، كما أنه ليس عيباً أن يسعى الأدنى للحاق بمن هو أفضل منه، وأن يبذل جهده للتفوق عليه متى استطاع إلى ذلك سبيلاً، كل ذلك بضابط الإنصاف وعدم الحقد، بحيث يؤدي ذلك كلُّه في نهاية المطاف إلى تحقيق مصلحة دينية عُليا، بعيداً عن هوى النفس وتقديس الذات. لأنه حين توجد المنافسة الشريفة تكون وقوداً للهمم، ومحرضةً على البذل المتواصل، وسبيلاً لتوجيه الأبصار إلى أعمال الخير، التي يفجر التنافس فيها مزيدا من الخير للفرد والمجتمع.

موقع الدعاة من التنافس

والأصل في الداعية أن يكون من السابقين بالخيرات: "أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ"(١).

وقال تعالى: "فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ"(٢) .

وقال سبحانه: "خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ"(٣).

(١) سورة المؤمنون، آية (٦١).

(٢) سورة البقرة، آية (١٤٨).

(٣) سورة المطففين، آية (٢٦).

وقد سَرَت روح التنافس في نفوس أصحابِ الهمم، وأعلاهم قدرًا ، وهم أنبياء الله صلوات ربي وسلامه عليهم؛ فنبي الله موسى عليه السلام بكى لما تجاوزه النبي (ﷺ) غبطةً لا حسدا، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: «أبكي لأن غلامًا بعث بعدِي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي»(١).

وهذا الحديث ينبغي أن يكون دافعاً للدعاة كي يتنافسوا في الخير للوصول إلى الغاية العليا وهي نصرة الإسلام وتحقيق الخير لأهله.

كذلك ينبغي أن يربي الدعاة طلابهم على روح التنافس في الخيرات فتتولد لديهم همة طلب العلم ونشر الدعوة في مدارسهم ومعاهدهم وجامعاتهم ، وداخل بلادهم وخارجها، وداخل بيوتهم وخارجها، ومع خدمهم، ومع زملائهم ..... إلخ.

٢. **<u>الصبر وكظم الغيظ:</u>**

إن استسلام الإنسان لمشاعر الغضب حين تستحوذ عليه لدليلٌ على ضعف إرادته وقلة حيلته، وقد عملت السنة النبوية على مجابهة تلك الحالة وإخماد جذوة الغضب المُستعرة والتي قد تورِد الإنسان المهالك وتخرجه عن وعيه، وتُحرجه أمام الناس.

وقد جاء التبيه على ذلك في السنة النبوية، ومن ذلك ما رُوي عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ " لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِى يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ"(٢).

(١) أخرجه البخاري ،ك فضائل الصحابة، باب المعراج، رقم (٣٨٨٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الْحَذَرِ مِنَ الْغَضَبِ، حديث رقم (٦١١٤).

وقد أوصى الرسول (ﷺ) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبِىِّ (ﷺ) أَوْصِنِى . قَالَ « لاَ تَغْضَبْ» . فَرَدَّدَ مِرَارًا ، قَالَ " لاَ تَغْضَبْ"(١).

إن الإنسان في حالة الغضب يكون كآلة صماءَ لا يتحكم في ما يخرج منه من ألفاظ ولا يملك لجام منا يقوم به من تصرفات، بل تكون كلُّ حواسه معطلةً فيندم بعدها حين لا ينفع الندم.

وقد وردت حادثة أيام الرسول (ﷺ) سيطر الغضب فيها على رجل لدرجة أنه ملكَ عليه جوارحَه، حتى إنه لم يستجب لنصيحة رسول الله(ﷺ) حين أسداها إليه، وإليكم هذا الموقف:

فعن سُلَيْمَانَ بْنُ صُرَدٍ قَالَ: " اسْتَبَّ رَجُلاَنِ عِنْدَ النَّبِىِّ – صلى الله عليه وسلم – وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ فَقَالَ النَّبِىُّ – صلى الله عليه وسلم – « إِنِّى لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ لَوْ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » . فَقَالُوا لِلرَّجُلِ أَلاَ تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِىُّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ إِنِّى لَسْتُ بِمَجْنُونٍ"(٢).

ونلحظ هنا أن الرسول (ﷺ) قد وضع الدواء الشافي والبلسم المعافي لهذا الداء العضال، وهو جِدٌّ يسير وهو الاستعادة بالله من الشيطان الرجيم.

والنبي (ﷺ) بذلك يقوي المناعة الإيمانية ويزيد من قدرة الحصانة العقائدية فيدفع المسلم دفعاً لأن يتذكر ربه في هذه الحال ويلجأ إليه

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الْحَذَرِ مِنَ الْغَضَبِ، حديث رقم (٦١١٦).
(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الْحَذَرِ مِنَ الْغَضَبِ، حديث رقم (٦١١٥).

ليحميه من نزغة الشيطان، كما قال تعالى: (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (١).

وفي ذلك تنمية لعنصر القوة في النفس البشرية بحيث لا يسوقه الغضب أو يسيطر عليه، ولا يوجّهُه حيث يريد هو .

ثم يعلن النبي (ﷺ) عن مكافأة لكل من كظم غيظه وألجم نفسه الحلم والصبر، وهو قادر على أن يردَّ الصاع صاعين والكيل كيلين إلا أنه يقدم العفو على الانتقام، وتأتي المكافأة في هذا الحديث:

فعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ : " مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِى أَىِّ الْحُورِ شَاءَ"(٢).

حظ الداعية من الصبر وكظم الغيظ

جرت العادة ـ ويا للأسف ـ أن الداعية يُسبّ فلا يردّ، ويُظلمَ فلا ينتصرُ لنفسه، ويُنتقصَ منه فلا يغضبُ، ويُسلبَ حقُّه فلا يسعى لاسترداده.... وهكذا، وجريرته الوحيدة . كما يرى العامة . أنه داعية ويجب عليه دائماً أن يرضى بالهون ويتلقى من الناس ما غلُظ من كلامهم وما شذَّ من فعالهم.

وأنا وإن كنت أرى أن الداعية ليس ملاكاً عن الشر محذورًا، ولا رسولاً عن العصيان معصوماً إلا أنه أوْلى الناسِ بحبس مشاعر الغضب ووأد شهوة الانتقام، وأحوجُهم إلى أن يسدد ويقارب متى استطاع إلى ذلك سبيلاً.

(١) سورة الأعراف: آية ٢٠٠ .

(٢) سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب الحلم، حديث رقم (٤٣٢٦).

لأن الداعية . في معظم أوقاته . أشد الناس تعرضا للاستفزاز، فإذا لم يُلجم نفسه الصبر فسوف ينفلت لسانه بردود أفعال قد تكون سبباً في أن ينفضَّ الناسُ عنه وأن تَلقى دعوتُه بعدها صُدوداً وإعراضاً. وأولى له ثم أولى له أن يكظم غيظه ويؤثرَ السكوت على الانتصار للنفس، وساعتها سيلتف الناس . أعني الجماهير . حوله مدافعين عنه وقد اتخذ منهم ظهيراً له.

والمعارضون للدعاة من الكثرة والتنوع بمكان؛ فمنهم الملحد الذي يعارضه لنشر التوحيد بين الناس، ومنهم العلماني الذي يعارضه متى رفع لواء الشريعة الإسلامية ونادى باللجوء إليها واستلهام جميع التشريعات المدنية منها، ومنهم من يعارضه لهوىً في نفسه وحقد في قلبه لأن له . أي الداعية . أتباعاً ومريدين يحملون الحق عنه وينشرونه. إضافةً إلى الواقع بضغوطه وآلامه ومنغصاته. كل هذه عوامل تستفز الداعية وتؤرقه. ومطلوب منه إزاء كل ذلك أن يتذرع بالصبر ويكظم الغيظ.

وصبر الدعاة على البلاء الذي يصيبهم لهو من عزم الأمور؛ لأنه صبرٌ على جحود الجاحدين وجفوة العاصين وعنَتِ المدعوين، ولقد واجَهَ النبيّ صلَّى الله عليه وسلم كل أشكال الصدود والفجور والجحود؛ فصبر عليها وصابر ورابط حتى أَتَم الله به دعوتَه وانتشرت في الآفاق.

وليس مطلوبا من الداعية أن يكون ملاكاً على الخير مجبولاً، أو رسولاً من الشر معصوماً، ومع ذلك لا يسوغ له أن يُهمل تنمية جانب الحب:

فالإسلام دين يشيع مظاهر الحب في كل جوانب الحياة، وهناك من الناس من لا يستطيع أن يحب إلا نفسه، وهناك من يحب ولكنه لا يترجم هذا الحب إلى واقع ومنهج حياة.

والسنة النبوية تحرص على تنمية هذه المشاعر في نفس كل مسلم لِتشيعَ روحَ الحب والوُد في المجتمع الإسلامي واضعاً المعالمَ لهذا الحب، ومن ذلك:

✓ **إفشاء السلام بين الناس:** عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) " لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَىْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ"(١).

وفي هذا الحديث تنمية للحب المتبادل بين المسلمين؛ سواء من يعرف بعضُهم بعضا أم لا ، كما جاء في الحديث الشريف، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) أَىُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ قَالَ " تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ"(٢).

وفي ذلك إشعار للآخر بالسلام دون تمييز بين ما إذا كان يعرفه أو لا؛ نشراً للسلام والوئام بين أبناء المجتمع الواحد.

يقول الإمام النووي: "وفيه رفع التقاطع والتهاجر والشحناء وفساد ذات البين التي هي الحالقة، وأن سلامَه لله لا يتبع فيه هواه ، ولا يخص أصحابه وأحبابه به"(٣).

✓ **ومن ذلك الإفصاح عن الحب:**

وفي السنة النبوية أمر مباشر بأن يصارح المسلم أخاه المسلم بأنه يحبه في الله حتى تقوى أواصر المحبة بينهما، ويتبادل الطرفانِ الكلماتِ الرقراقةَ المنبثقةَ عن قلبٍ طاهر ونفسٍ نقية.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ أَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ وَأَنَّ مَحَبَّةَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الإِيمَانِ وَأَنَّ إِفْشَاءَ السَّلاَمِ سَبَبٌ لِحُصُولِهَا، حديث رقم (٢٠٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ تَفَاضُلِ الإِسْلاَمِ وَأَىٍّ أُمُورِهِ أَفْضَلُ، حديث رقم (١٦٩).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، (جـ١/ صـ ١٤٣).

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): " فَأَخْبَرْتَهُ "، قَالَ: لَا، قَالَ: " فَأَخْبِرْهُ " قَالَ: فَلَقِيَهُ بَعْدُ، فَقَالَ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ فِي اللهِ، فَقَالَ لَهُ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ"(١).

فلا شك أن مصارحة الإنسان لأخيه بمشاعر الحب الصافية يخلق روحاً من الود والاحترام المتبادلين، كما يثير نفس المشاعر في نفس الطرف الآخر مما يحفّزه على مصارحة غيره بالحب متى شعر به تجاهه، ولو لم تكن لتلك المصارحة كبير فائد ما أمر الرسول (ﷺ) هذا الرجل بنقل مشاعره من حيّز ضيِّق إلى نطاقٍ أوسعَ وأرحبَ.

<u>موقع الداعية من الحب</u>

والمقصود من الحب في حياة الداعية هو حبه لمدعويه وحبهم له، وذلك لن يتأتى لداعية لا تربطه بجماهيره علاقة خاصة.

وأساس هذه العلاقة كلمة طيبة أو بسمة عريضة يرسمها الداعية على وجهه عند ملاقاتهم فتنبسط له قلوبهم وتهوي إليه أفئدتهم لأنه . وبكل بساطة . أسَرَ هذه القلوب بإسار بالحب فلم يستطيعوا الفكاك من هذا الأسر.

كما قال القائل: الإنسان أسير الإحسان.

أو كما قال الشاعر:

أحسنْ إلى الناس تستعبد قلوبهم * فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ**

لابد أن يكون هناك تفاعل مع جماهير الداعية، وتبسط في الكلام معهم، وإشعارهم بأنهم ذوو قيمة لديه.

(١) مسند أحمد، عن أنس، حديث رقم (١٢٥١٤). قال الشيخ الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل مبارك بن فضالة.

وقد لخص المفكر الأمريكي (ديل كارنيجي) أفضل الطرق لجذب القلوب للداعية فقال، ست طرق لجعل الناس تحبك، وهي:

١. أظهر اهتماما حقيقيا بالناس.

٢. ابتسم.

٣. تذكر أن اسم الشخص هو أفضل وأحب الأسماء إليه.

٤. كن مستمعا جيدا وقم بتشجيع الآخرين عن أنفسهم.

٥. تحدث فيما يسر ويسعد محدثك.

٦. اجعل الشخص الآخر يشعر بالأهمية، افعل هذا بصدق[١].

ولا شك أنه إذا فعل الداعية ذلك مع مدعويه فسوف تتلاقى أرواحهم وتتلاقح مشاعرهم معه.

(١) ديل كارنيجي: كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس، ط ١ الأهليه للنشر والتوزيع . الأردن، ٢٠٠١م، ص٨٧ .

الفصل الثاني

تنمية الجانب الإبداعي في الإنسان

- **تمهيد:**

لا شك أن الجانب الإبدعي من أهم ما يحتاجه الإنسان في حياته حتى لا تسير حياته على وتيرة واحدة؛ إذ لا بد من التنوع حتى لا يصاب بالفتور والملل.

والإبداع يَستنهض في الإنسان كل إمكاناته أو جُلَّها، ويستثير فيه همته ليحقق ما يصبو إليه. وبما أن الإنسان يحمل أدواتٍ قابلةً للتطوير فهو مطالَب إذن بتنميتها وتطويرها بمقتضى تكريم الله له بالعقل ومنحه القدرة على البيان دوناً عن سائر المخلوقات. ومن لم يقم بهذا الدور التطويري فقد أجرم في حق نفسه وفرّط في جزء من حقوقها ورضي لنفسه أن يستوي بالمخلوقات العجماوات التي تسير على نمط واحد ما دامت على قيد الحياة من حيث إنها لا تفيد غيرها وتقتصر إفادتها لذاتها على مجرد الطعام والشراب، ولا تملك – حتى – أحلاماً تسعى لتحقيقها.

ولذا وجب أن تُختار الكفاءاتُ على هذا الأساس بحيث لا يوضع في الصدارة أو القيادة إلا من كان قادراً على قيادة نفسه نحو الأفضل، وإلا فكيف يقود غيره من عجز عن قيادة ذاته!!!

والدعاة إلى الله أوْلى الناس بتنمية مهاراتهم واستخراج ما فيهم من طاقات كامنة وإبداعات مدّخَرة.

وإليكم التفصيل في المبحثين التاليين:

المبحث الأول

استنهاض مهارات التفكير العليا في الإنسان

في الحقيقة: إن السنة النبوية ذاخرة بالنصوص والوصايا التي تستحث الإنسان على تنمية وتطوير مهارات التفكير العليا فيه، والتي تعتمد في الأساس على مهارة العصف الذهني:

والعصف الذهني هو : "استخدام الدماغ أو العقل في التصدي النشط للمشكلة، ويهدف أساساً إلى توليد قائمة الأفكار التي يمكن أن تؤدي إلى حل المشكلة المتعلقة بالبحث"(١).

فالعصف الذهني يعني إعمال الذهن لأعلى درجة بحيث يأتي بعصارة ما توصل إليه في قضية مّا، والعصف الذهني يقوم باستثارة العقل واستخراج أقصى ما عنده من الإمكانات والطاقات المكنونة وعندنا موفور من الأحاديث الصحيحة والتوجيهات النبوية التي تحث على ذلك، ومنها:

❖ **التعليم بالألغاز:**

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ « إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا ، وَهِىَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ ، حَدِّثُونِى مَا هِىَ » . فَوَقَعَ النَّاسُ فِى شَجَرِ الْبَادِيَةِ ، وَوَقَعَ فِى نَفْسِى أَنَّهَا النَّخْلَةُ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَاسْتَحْيَيْتُ . فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخْبِرْنَا بِهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – « هِىَ النَّخْلَةُ »(٢).

(١) د. عطية خليل عطية: أسلوب حل المشكلات في العملية التعليمية "دراسة ميدانية" ط دار الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٨م، ص٦٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الْحَيَاءِ فِى الْعِلْمِ، حديث رقم (١٣١).

يقول ابن حجر في شرح الحديث معلقاً على قوله (فَوَقَعَ النَّاس) "أَيْ ذَهَبَتْ أَفْكَارهمْ فِي أَشْجَار الْبَادِيَة ، فَجَعَلَ كُلّ مِنْهُمْ يُفَسِّرهَا بِنَوْعٍ مِنْ الْأَنْوَاع"(١).

وبذا يكون قد حصل المقصود وتحققت الغاية من السؤال، فقد فكَّر الجلوس في السؤال وجاءوا بعصارة أفهامهم في سبيل حلِّ هذا اللغز.

ويقول ابن حجر أيضاً: "وَفِيهِ ضَرْب الْأَمْثَال وَالْأَشْبَاه لِزِيَادَةِ الْإِفْهَام ، وَتَصْوِير الْمَعَانِي لِتَرْسَخ فِي الذِّهْن ، وَلِتَحْدِيدِ الْفِكْر فِي النَّظَر فِي حُكْم الْحَادِثَة"(٢).

ووجهُ الشبه بين المسلم والنخلة أن عقيدة المسلم راسخة كرسوخ جذور النخلة، كما أنه مستقيم كاستقامتها، وأعماله الصالحة مثمرة كما تثمر النخلة.

وقد تجسدت الحكمة النبوية هنا أيضاً في استغلال تجمُّع عدد كبير من الصحابة وطرح مثل هذا السؤال حتى تنمو لديهم طريقة العصف الذهني وتتسع مداركهم؛ لأن الإنسان متى حصل على المعلومة بعد عناءِ فكر وإعمال عقل رسخت في ذهنه، بخلاف ما لو حصل عليها بسهولة ويُسر فإنه سرعان ما سينساها. ومن واقعية هذا السؤال أنه ليس سؤالا تعجيزياً، كما أنه ليس سؤالاً سطحياً وإنما يحتاج فقط إلى تركيز من المتلقي للسؤال.

❖ طرح الأسئلة:

وطرح الأسئلة مدعاة للتفكير ومحاولة الوصول إلى إجابة صائبة، وقد يكون السؤال بغرض إقرار المستمع بشيء أو لفت انتباهه إلى أهمية

(١) فتح الباري، (جـ ١/ صـ ٩٧).

(٢) المصدر السابق (جـ١/ ص٩٧).

ذلك الشيء، أو بغرض استخلاص الإجابة من المستمع، ومن ذلك ما رواهُ أَبو بَكْرَةَ – رضى الله عنه – عَنِ النَّبِىِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ : " الزَّمَانُ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ثَلاَثٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِى بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ ، أَىُّ شَهْرٍ هَذَا » . قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ ، قَالَ « أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ » . قُلْنَا بَلَى . قَالَ « أَىُّ بَلَدٍ هَذَا » . قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ ، قَالَ « أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ » . قُلْنَا بَلَى . قَالَ « فَأَىُّ يَوْمٍ هَذَا » . قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ « أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ » . قُلْنَا بَلَى ....إلخ الحديث"(١).

ونلحظ في هذا الحديث سكوتَ الرسول (ﷺ) بعد كل جملة، وقد كان ذلك منه "استحضارًا لفهومهم ، وتنبيهًا لغفلتهم ، وتنويهًا بما يذكره لهم ؛ حتى يُقبلوا عليه بكليتهم ، ويستشعروا عظمة حرمة ما عنه يخبرهم"(٢).

ومنه ما جاء عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ »؟ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِى يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِى قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى

(١) صحيح البخاري، كتاب الأضاحي، باب مَنْ قَالَ الأَضْحَى يَوْمَ النَّحْرِ، حديث رقم (٥٥٥٠).
(٢) فتح الباري (جـ ١/ صـ ١٠٧).

هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِى النَّارِ »[(١)].

وفي هذا الحديث ينمِّي النبي (ﷺ) في الصحابة مهارة العمق في التفكير، فالذي حمل السؤال على ظاهره ظن أن المراد بالمفلس من لا مال له، بينما يقصد الرسول (ﷺ) معنى جديداً وهو من قلَّت حسناته وكثرت سيئاته بسبب سوء أخلاقه، وهذا عمق لا يدركه إلا أولو النُّهى والألباب، وهو ما أراده النبي من وراء هذا السؤال.

❖ **استخدام الإشارة:**

إن الاكتفاء بالإشارة عن العبارة ارتقاء بالمستمع من حال إلى حال، وعلوٌّ به من مرتبة في الفهم إلى مرتبة أعلى، وقد استخدمها النبي (ﷺ) لتقريبِ معنىً بعيدٍ أو تصورِ ما يصعُب على الذهن، ونقشِ ذلك الموقف في الذهن بحيث لا يُنسى بسهولة، ومن ذلك:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: " هَذَا سَبِيلُ اللهِ "، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: " هَذِهِ سُبُلٌ – قَالَ يَزِيدُ: مُتَفَرِّقَةٌ – عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ "، ثُمَّ قَرَأَ: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ، فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) [الأنعام:١٥٣][(٢)].

فهذا مخطَّط تمثيلي يوضح فيه النبي (ﷺ) تفسير معنى تلك الآية من سورة الأنعام بطريقة عملية مرتبطة بموقف بدلاً من طريقة الإلقاء التي غالبا ما يملُّها المستمع.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب البر والصلة والآداب، باب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم (٦٧٤٤).

(٢) مسند أحمد، عن ابن مسعود، حديث رقم (٤١٤٢). وقال المحقق: إسناده حسن من أجل عاصم بن أبي النجود.

وعن ابْنَ عُمَرَ رضى الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ " إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ ، لاَ نَكْتُبُ وَلاَ نَحْسُبُ الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا » . يَعْنِى مَرَّةً تِسْعَةً وَعِشْرِينَ ، وَمَرَّةً ثَلاَثِينَ"(١).

وفي هذا الحديث إشارة تحلُّ محلَّ العبارة، وإجبارٌ للمستمع على أن ينظر إلى المتكلم ويلتفت إليه، وهذا أدعى للفهم والاستيعاب من مجرد الاستماع، كما أن في ذلك تنميةً لمهارة الحساب والجمع.

الداعية وتنمية المهارات العليا

ليس مطلوبا من الداعية فقط أن يطور من نفسه ويستنهض ما فيها من كوامن، وإنما المطلوب منه أيضاً الارتفاع بمستوى فكر من يستمعون إليه، وأن يستخرج منهم المهارات الراكدة.

فهو ينوع في حديثه بين طرح الأسئلة، وقد يتطور الأمر إلى أن يطلب الداعية من المستمعين أن يشتركوا جميعاً في التفكير للحصول على الإجابة ليغرس فيهم روح العمل الجماعي، ولتبادل الخبرات والمهارات فيما بينهم.

وقد يتطور الأمر إلى أن يتحداهم بسؤال يصعب عليهم الجواب عنه إلا بالبحث والاطلاع عن جواب مناسب فيدفعهم ذلك إلى البحث في المصادر الإسلامية، ومتى تحقق ذلك يكون ساعتها قد نجح الداعية في أداء مهمته وقام بالواجب الذي عليه خير قيام.

ولا بأس أن يترقى بهم الداعية أحياناً إلى طرح بعض الألغاز عليهم فينمي فيهم مهاراتِ التفكير العليا ويدفعهم فعاً نحو التفكير إلى درجة

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب قَوْلِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – « لاَ نَكْتُبُ وَلاَ نَحْسُبُ »، حديث رقم (١٩١٣).

عصف الذهن للوصول إلى الجواب بأسرع وقت ومن أقصر طريق. وفي ذلك كله خروج عن المألوف في الدعوة وتجديد للخطاب الديني بما تحتمله كلمة التجديد من معاني.

وفائدة ذلك أن لا تتوقف العملية الدعوية على مجرد طريقة إلقاء الداعي وتلقي المدعو، فتبقى العملية الدعوية بلا روح، أشبه بمذياع تجمع حوله رهط من الناس.

وفي ذلك كله خروج عن المألوف في الدعوة وتجديد للخطاب الديني بما تحتمله كلمة التجديد من المعاني.

وأما بالنسبة للإشارة ففيها ما يغني عن العبارة لأنها قد تجسّد معنىً عجزت العبارة عن إيصاله للمستمع أو المشاهد.

أضف إلى ذلك أن كلمة الداعية إذا خلت من الإشارة أصبح الداعية أشبه بآلة تتكلم بلا شعور، ثم إنه لا يتفاعل مع ما يقول ولو بإشارة، فكيف يمكن لمستمعيه أن يتأثروا بكلامه.

إننا نحكم على الخطاب الديني بالفناء إذا فرّغناه من الحس والشعور المتمثلة في الإشارات والحركات والإيماءات والانفعالات.

وليس من نافلة القول أن نجزم بأن استخدام الوسائل المرئية الحديثة في عرض الوثائق التاريخية، والمشاهد الحياتية، والأدلة العلمية (مثل شاشة العرض الإلكترونية) لهي من أنجع الأساليب التي تخدم الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر.

المبحث الثاني

اختيار الكفاءات وتوزيع الأدوار

إن وضع الشخص المناسب في المكان المناسب مبدأ إسلامي لا يمكن تجاهله، إذ أن تجاهل ذلك المبدأ يخلق نوعا من الفوضى في المؤسسات.

والمتتبع لهدي النبي (ﷺ) يعلم أنه كان يضع كل شخص فيما يناسب طبائعه، وفي المجال الذي هو بارعٌ فيه حتى يُبدعَ ويُجدد فيما اختير له من منصب أو إن شئت فقل: من مهام.

فالشخصية السياسية مكانها جلسات المفاوضات، والشخصية القوية مكانُها الإمارة، والشخصية المتكلمة البليغة مكانها على موائد المفاوضات ونقل الرسائل النبوية إلى بلاد الكفر، والشخصية القتالية مكانها قيادة الجيوش، والشخصية الرقيقة في الطباع مكانها الدعوة والإرشاد. وعلى هذا الأساس سار الرسول (ﷺ) ومِن بعده الخلفاء الراشدون، وفي السنة النبوية عشرات الأمثلة الدالة على ذلك، والتي أقتضب منها – خشية الإطالة – على سبيل المثال:

- **<u>الإمارة والحكم:</u>**

من المعلوم أن الحاكم ولو كان على إمارة من الإمارات لا بد أن تتوافر فيه مهارات خاصة بعضها وُلد معه والبعض الآخر اكتسبها من خلال خبرته في الحياة وبدون توافر تلك الصفات فيه فإننا نحكم – مقدماً – على هذه الإمارة بالسقوط حتماً، ولا مكان في ذلك للمحسوبيات أو الوساطة، ومن ذلك مما ورد في السنة النبوية:

عَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِى قَالَ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِى ثُمَّ قَالَ « يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ

خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِى عَلَيْهِ فِيهَا »[١].

والنبي (ﷺ) بذلك يرى في أبي ذرٍّ داعيةً ذا حسٍّ مرهَف وشعورٍ متدفق وقلبٍ رقيق فاختار له مهمة الدعوة إلى الإسلام في قبيلته ، فقد طلب منه النبي (ﷺ) ذلك حينما جاء إلى مكة ليعرض إسلامه أمام رسول الله (ﷺ) وقال له – بعد أن أسلم: «ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِى». فَقَالَ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ. فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ"[٢].

وبالفعل رجع أبو ذر داعية في قومه فرجع إلى قومه ولم يأت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم إلا بعد فتح خيبر[٣].

أما أبو بكر وعمرُ فقد كان النبي يرى فيهما الشخصية الحاكمة وإن كان بينهما اختلاف في الطبع؛ فالأول سمته الهدوء واللين، والثاني سمته الشدة والقوة، لكن أهليتهما للإمارة والحكم متوفرة؛ ولذا قال رسول الله عنهما فيما رواه ابن عباس قال: قال رسول الله (ﷺ) : "إن لي وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض فوزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر"[٤].

- **<u>السّرية والكتمان:</u>**

ويعلمنا النبي (ﷺ) كيف نضع الشخص المناسب في المكان المناسب وكيف نختار الأكفأ للمهام الصعبة التي تحتاج إلى سرية تامة،

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب كَرَاهَةِ الإِمَارَةِ بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ، حديث رقم (٤٨٢٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر، حديث رقم (٦٥١٦).

(٣)انظر في ذلك ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط١ دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م (جـ ٣/ صـ ٤٨).

(٤)علي بن حسام الدين المتقي الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ط مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٨٩ م، حديث رقم (٣٦١٢٠)، وانظر البداية والنهاية لابن كثير (جـ٧/ صـ ١٥١).

وهذا ملحوظٌ بشدة في قصة الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة حيث اختار من يكتم أمره؛ سواءٌ أكان رجلا أم أمرأة، مسلماً أم كافراً.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "... فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازِ وَضَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَأَوْكَتْ بِهِ الْجِرَابَ وَلِذَلِكَ كَانَتْ تُسَمَّى ذَاتَ النِّطَاقِ ثُمَّ لَحِقَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ، وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ ثَوْرٌ فَمَكُثَ فِيهِ ثَلاَثَ لَيَالٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهْوَ غُلاَمٌ شَابٌّ لَقِنٌ ثَقِفٌ فَيَرْحَلُ مِنْ عِنْدِهِمَا سَحَرًا فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ فَلاَ يَسْمَعُ أَمْرًا يُكَادَانِ بِهِ إِلاَّ وَعَاهُ حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلاَمُ وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلِهَا حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلاَثِ"(١).

"وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ هَادِيًا خِرِّيتًا وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثٍ"(٢).

والرجل الديليّ المذكور في هذا الحديث هو عبد الله بن أريقط؛ الدليل المشرك الذي صاحب الرسول وصاحبه أبا بكر في هذه الرحلة والذي كتم عنهما هذا السّر بالرغم من كونه مشركاً. ولا شك أن هذا الاختيار قد تم عقب دراسة متأنية ومعرفة بحال هذا الرجل وطبيعته. وفي ذلك تنمية لمهارة اختيار الأكفأ والأنسب للقيام بالمهام الصعبة دونما نظر إلى دينه وعقيدته.

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب التقنع، حديث رقم (٥٨٠٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإجارة، بَاب إِذَا اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا لِيَعْمَلَ لَهُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَوْ بَعْدَ شَهْرٍ أَوْ بَعْدَ سَنَةٍ جَازَ وَهُمَا عَلَى شَرْطِهِمَا الَّذِي اشْتَرَطَاهُ إِذَا جَاءَ الْأَجَلُ، حديث رقم (٢١٠٤).

اختيار الكفاءات في الدعوة

إننا نعاني أزمة حقيقية في اختيار الدعاة الذين نوكلهم للدفاع عن قضية الإسلام، وتبدأ هذه الأزمة منذ لحظة قبولهم في الكليات الشرعية التي يتقدمون إليها، وفي دنوّ مجموع درجات المتقدمين إليها.

كل ذلك يدفع آلاف الطلاب الضعاف علمياً والكسالى دراسياً نحو تلك الكليات ومن ثم يكون دعاة الغد بهذا المستوى.

وأولى بهذه الكليات أن تشترط مجموعاً من الدرجات لا يقل عن كليات القمة، وكذا امتحاناً للقبول في القرآن الكريم وتجويده والثقافة الإسلامية، وامتحاناً في السمات العامة وطبيعة الشخصية المتقدمة، على غرار ما يسبق الالتحاق بالكليات الحربية والعسكرية والنيابة.

ثم تأتي مرحلة العمل الميداني حين يتخرج هؤلاء الطلاب ويُعيّنون في وظائف دعوية، وهنا يتوجب على الوزارة المختصة بتوظيفهم اختيارهم على أسس سليمة دون محاباة أو وساطة وإلا فإنها تُصدِّر للدعوة الإسلامية الموقوذةَ والمتردية والنطيحة.

وشر ما يمكن أن تُبتلى به الدعوة الإسلامية أن يقوم اختيار دعاتها على أساس الوساطة والمحاباة، أو على أساس الانتماءات الطائفية، أو حتى على أساس المظهر وحسب.

ولقد رأيت في بعض بلادنا الإسلامية من يُختارون لمجرد أن سمتهم الظاهري يوافق سمت العلماء وإن لم يفرّقوا . في العلم . بين الكوع والبوع. فيصعد المنبرَ أو يرتقي المنصةَ جسدٌ بلا روح، ورأسٌ بلا وعي.

وآفة هؤلاء أنه سيكون منهم في المستقبل من بيده اختيار الدعاة. فليت شعري!! هل سيختار إلا صوراً مكرورة منه فيتسع بذلك الخرق، ويزداد الفتق.

الفصل الثالث

تنمية الجانب القيادي في الإنسان

لا ريب أن وجود القيادة الحكيمة الرشيدة سببٌ رئيسٌ من أسباب النصر والتمكين، ورادعٌ لعوامل الهزيمة والتردي الحضاري، وذلك أن القيادة التي هذا وصفها تتكشف أمامها دقائق الأمور قبل عظائمها وتكون مدركة لكل ما يحدث في حدود ملكها وقادرة على مجابهة المخاطر التي تحدق بها وتتربص بها الدوائر.

ومن هنا فقد حرصت السنة النبوية على إعداد القادة الذين يحملون الراية خلفاً لمن سبقهم من العظماء حتى لا يخلو المجال لكل ناعق أو طامع.

وهذه القيادة تشمل القيادة الخارجية والتعامل مع الأحداث العالمية، وكذا القيادة الداخلية التي من شأنها الارتقاء بالشؤون الإدارية الداخلية، وهذا ما سنحاول تجليته بإيجاز يوضح الهدف المنشود في المبحثين التاليين:

المبحث الأول

بناء الكوادر القيادية

إن صناعة الأجيال أصعب بكثير من الصناعات الثقيلة التي تقوم عليها الدول العظمى، ولئن كان الذهب والبترول ثروة قومية فإن صناعة القادة من الشباب ثروة دينية لا تقدر بمال، وضرورة حتمية يجب الالتفات إليها وتنميتها .

وهذا ما وجَّهَنا إليه الرسول (ﷺ) في كثير من الأحاديث النبوية من خلال تعامله مع الصحابة الكرام حتى في أدق الأمور وأيسرها.

- **القيادة في السفر:**

ففي السفر – مثلا – علّمنا الرسول (ﷺ) أن يكون للمجموعة المسافرة قائد يقودهم حتى تتوحد الجهود وتتفق الكلمة نحو الهدف المأمول، فقال (ﷺ) فيما رواه عنه أبو سعيد الخدري: " إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم "(١).

يقول الإمام الخطابي في شرح هذا الحديث: "إنما أمر بذلك ليكون أمرهم جميعا ولا يتفرق بهم الرأي ولا يقع بينهم خلاف فيعنتوا "(٢).

وهناك حكمة أخرى من الاجتماع على قائد واحد، وهي مجانبة الشيطان لأن الفرصة تكون سانحة بالنسبة للشيطان للنيل من الفرد وليس

(١) سنن أبي داوود: كتاب الجهاد، باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم، حديث رقم (٢٦٠٨) ، قال الشيخ الألباني : حسن صحيح.

(٢) أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي البستي: معالم السنن، ط١ المطبعة العلمية – حلب، ١٣٥١ هـ – ١٩٣٢ م ، حديث رقم (٧٣٥) (جـ٢/ صـ ٢٦٠).

ذلك سهلاً في تأثيره على الجماعة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال :عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ"(١).

- **القيادة في الحروب:**

لطالما حرص النبي على تشجيع الشباب لحمل الراية والاستعداد لذلك متى لزم الأمر؛ لإيمانه بأن الشباب هم وقود هذه الأمة ومصدر قوتها، ومن ذلك حرصُه على إرسال أسامة بن زيد وهو الشاب اليافع على رأس أكبر الجيوش الإسلامية بالرغم من وجود كبار الصحابة ممن شهد لهم القاصي والداني بالمهارة في القيادة.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما – قَالَ بَعَثَ النَّبِىُّ – صلى الله عليه وسلم – بَعْثًا ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِى إِمَارَتِهِ ، فَقَالَ النَّبِىُّ – صلى الله عليه وسلم – « إِنْ تَطْعُنُوا فِى إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِى إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ ، وَايْمُ اللَّهِ، إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلإِمَارَةِ ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَىَّ ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَىَّ بَعْدَهُ »(٢).

ولم يتراجع النبي عن قراره بإرسال أسامة على الجيش بالرغم من تذمر بعض الصحابة من ذلك القرار، ولقد كان النبي يرى فيه الأهلية الكاملة لما هو أعظم من قيادة الجيش؛ فقد كان يراه خليقاً للإمارة والحكم

(١) سنن الترمذي، كتاب الجماعة، باب التشديد في ترك الجماعة، حديث رقم (٨٤٧)، وقال الشيخ الألباني: حسن.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مَنَاقِبُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، حديث رقم (٣٧٣٠).

على صغر سنه. وهذه صورة واضحة الملامح لتنمية مهارة القيادة في الشباب المسلم، فلئن كنّا في حاجة إلى الشيوخ الذين يملكون الحكمة والحنكة والخبرة في التخطيط فإننا في أمسِّ الحاجة إلى قوة الشباب الذين سينفذون هذا التخطيط وينقلونه إلى حيّز الوجود.

يقول الإمام النووي: "وقد كان أسامة صغيرا جدا، فقد توفي النبي صلى الله عليه و سلم وهو ابن ثمان عشرة سنة وقيل عشرين، وفيه وجواز تولية المفضول على الفاضل للمصلحة"(١).

- **بناء الكوادر من ذوي الاحتياجات الخاصة:**

لم يهمل النبي (ﷺ) أصحاب الأعذار الخاصة في المجتمع والذين نسميهم (المعاقين)، لم يهمل تنمية ما عندهم من مهارات، واستغلالها لينتفع بها الناس، فهذا عبد الله بن أم مكتوم كان أعمى ومع ذلك فقد كلفه النبي (ﷺ) ببعض الأعمال التي يراه مناسباً للقيام بها والقيام بها خير قيام، كالصلاة بالناس إماماً، وقد جاء ذكر ذلك في السنة النبوية، ومن ذلك:

فَعَنْ أَنَسٍ "أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) اسْتَخْلَفَ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ يَؤُمُّ النَّاسَ وَهُوَ أَعْمَى"(٢) .

ولعل مما يلفت النظر في هذا الحديث ترجمة الإمام أبي داوود لهذا الحديث؛ حيث أدرجه تحت باب بعنوان: (باب فِى الضَّرِيرِ يُوَلَّى).

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، (جـ١٥/ صـ ١٩٦).

(٢) سنن أبي داوود، كتاب الخراج، باب فِى الضَّرِيرِ يُوَلَّى، حديث رقم (٢٩٣٣). وقال الشيخ الألباني : حسن صحيح.

وهذا يعطينا ملمحاً هاماً، وهو أن النبي (ﷺ) كان لا يفرق بين القوي والضعيف، كما أنه (ﷺ) كان يرقب عن قرب وعن بُعد مهارات كل منهم ويستغلها في مكانها.

ومهمة الإمامة في الصلاة لا تحتاج إلى بصير، وإنما يصلح أن يقوم بها الضرير، ويبدو أن أبن أم مكتوم كان لديه موهبة مّا في الصلاة جعلت رسول الله (ﷺ) يختاره لهذه المهمة دون غيره.

كما كان معاذ بن جبل أعمى، ومع ذلك فقد أرسله الرسول (ﷺ) عاملا إلى اليمن.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ بَعَثَنِى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « إِنَّكَ تَأْتِى قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِى كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِى فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»(١).

وتذكر كتب السير أن معاذاً كان أعرج، يقول الذهبي: "كان شاباً جميلاً من أحسن الناس وجهاً، أبيض، طوالاً، حسن الثغر، عظيم العينين، مع عرجٍ في إحدى قدميه"(٢).

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدُّعَاءِ إِلَى الشَّهَادَتَيْنِ وَشَرَائِعِ الإِسْلاَمِ، حديث رقم (١٣٠).

(٢) شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٣ مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م (١/ ٤٤٤).

والخلاصة أن الرسول (ﷺ) كان يبني الكوادر القيادية في كافة المجالات دون النظر إلى اعتبارات أخرى.

- **تربية القادة على مبدأ الشورى:**

من المبادئ التي غرسها النبي (ﷺ) في نفوس الصحابة؛ مبدأ المشاورة وعدم احتكار القرار، أو مصادرة الرأي الآخر، وهذا المبدأ سبق أن أرساه القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ) (١).

والمشاورة في الأمر لا يعود نفعها فقط على القرار المتشاوَر حوله، بل يعود نفعها على شخصية من تشاورهم ويغرس فيهم روح القيادة والإحساس بالأهمية، كما أنه يؤلف القلوب حول القائد ويزيل الرواسب النفسية والخلافات المتراكمة بين القائد وأتباعه.

يقول ابن تيمية رحمه الله عن أهمية الشورى: " إن الله أمر بها نبيه لتأليف قلوب أصحابه، وليقتدي به من بعده ليستخرج منهم الرأي فيما لم ينزل فيه وحي من أمر الحروب والأمور الجزئية وغير ذلك"(٢).

ولقد سار النبي (ﷺ) على هذا المبدأ مع صحابته الكرام فترة حياته كلها حتى في الحروب والغزوات، ولم يكن يستأثر برأيه بل كان يجمع آراء الجميع ويعمل بما يحقق المصلحة العليا للإسلام، وعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر ما يلي:

(١) سورة آل عمران، آية : ١٥٩ .

(٢) أحمد بن تيمية: السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، ط دار المعرفية، بيروت، لبنان، ص٢١٣.

✓ ففي غزوة بدر تنازل النبي (ﷺ) عن رأيه الذي كان قد عقد عليه نيته ونزل على رأي أحد الصحابة، كما في سيرة ابن هشام:

".....فاستشارهم يوم بدر وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر وقال فأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك فوالله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. فوالذي بعثك بالحق لو سرت إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال له رسول الله خيراً ودعا له. ثم قال: أشيروا علي أيها الناس– وإنما يريد الأنصار– وذلك أنهم عدد الناس، وأنهم حين بايعوا بالعقبة قالوا: إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع به أنفسنا ونساءنا. فكان رسول الله يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليهم نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله، قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجل». قال: فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا لصُبرٌ في الحرب صُدقٌ عند اللقاء لعل الله يريك ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله. فسر رسول الله بقول سعد

ونشطه ذلك ثم قال: «سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم»(١).

- ✓ وفي نفس الغزوة "أَنّ الْحُبَابَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ قَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ أَمَنْزِلًا أَنْزَلَكَهُ اللّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدّمَهُ وَلَا نَتَأَخّرَ عَنْهُ أَمْ هُوَ الرّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ ؟ قَالَ بَلْ هُوَ الرّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ ؟ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ فَإِنّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ فَانْهَضْ بِالنّاسِ حَتّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ ، فَنَنْزِلَهُ ثُمّ نُغَوّرُ مَا وَرَاءَهُ مِنْ الْقُلُبِ ثُمّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلَؤُهُ مَاءً ثُمّ نُقَاتِلُ الْقَوْمَ فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرّأْيِ..."(٢).

فأخذ النبي برأي الحُباب وعسكروا عند البئر فكان النصر حليفهم لأنهم سيطروا على بئر بدر ومنعوا جيش المشركين من الماء، والمعلوم أن الماء في الحرب لا يقل أهمية عن السلاح في أيدي الجنود.

- ✓ وفي غزوة الخندق أخذ النبي برأي سلمان الفارسي في فكرة حفر الخندق وهي طريقة فارسية قديمة في الحروب.

يقول ابن هشام: "وَحَدّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنّ الْمُهَاجِرِينَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ قَالُوا : سَلْمَانُ مِنّا ؛ وَقَالَتْ الْأَنْصَارُ : سَلْمَانُ مِنّا ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سَلْمَانُ مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ"(٣).

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ط١ مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، د. ت (جـ ١/ صـ ٦١٩).
(٢) المصدر السابق (جـ١/ صـ ٦٢٠).
(٣) المصدر السابق (جـ٢/ صـ ٢٢٤).

ولم يكتفِ النبي (ﷺ) بإرساء مبدأ الشورى عند الرجال بل امتد هذا المبدأ ليشمل بعض النساء الذين أراد لهم أن يكُنَّ قادة في الرأي والحكمة، وتلك لفتة طيبة حيث أراد النبي (ﷺ) إشراك المرأة في صناعة القرارات المصيرية للأمة، ومثال ذلك مشورة السيدة (أم سلمة) لما تكاسل بعض المسلمين عن تنفيذ أوامر رسول الله (ﷺ) فدخل على أم سلمة مُلتمساً منها المشورة.

وفيه أن رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) قال لأَصْحَابِهِ " قُومُوا فَانْحَرُوا ، ثُمَّ احْلِقُوا . قَالَ فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِىَ مِنَ النَّاسِ . فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ يَا نَبِىَّ اللَّهِ ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ . فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ . فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ ، قَامُوا فَنَحَرُوا ، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا ، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا"(١).

فقد أنتجت مشورة أم سلمة استقراراً واستباباً للأمن والنظام والسير خلف قيادة رسول الله (ﷺ) الرشيدةِ الحكيمةِ. وهذا الموقف يدفع المرأة نحو تنمية مهارة القيادة عندها حتى لا تكون كمّاً مهملاً لا تعبؤ بالتغيرُّات الخارجية والأحداث التي تجري مِن حولها.

القيادة في الدعوة

(١) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشُّرُوطِ فِى الْجِهَادِ وَالْمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ، حديث رقم (٢٧٣١).

القيادة ملمح رئيس من ملامح الدعوة وركيزة من ركائزها. فالداعية سيّدٌ إذا تكلم سكت الجميع، وإذا خطب سكت الجميع، وإذا حاضر أنصت الجميع، وإذا صلى إماما تبعه الجميع، فلا ينهض أحد حتى يقوم ولا يُنهي الصلاةَ أحد حتى تكون النهاية منه هو.

وأعني بالقيادة عند الداعية قيادته لمن يستمع إليه؛ حيث يغرس فيهم الفكرة، ويعمّق لديهم الفهم، ويربي على يديه جيلا من الشباب يحمل الراية بعده.

وكم من مريدين نشروا علم شيخهم بعد موت أشياخهم فذاع صيته وقد كانوا يعيشون في غمرات الناس .

ثم هي القيادة الروحية؛ فهو بين الناس أسوة يُقتدى به، ومُوقِّع عن الله، وهو المدافع عن الإسلام وقت الغارة عليه.

المبحث الثاني

بناء الكوادر الإدارية

ليس المقصود بالإدارة – طبعاً – مجرد القوانين واللوائح التي تسنها الهيئات والمؤسسات الإدارية فحسب؛ إذ أنه من السهل التحايل على معظم هذه القوانين وتلك اللوائح مالم يكن لدى الفرد وازعٌ ديني يمنعه عن ارتكاب المخالفات الشرعية، ومنها أيضاً القوانين التي توضح أسس إدارة البيوت؛ ولذا أرى أن من أسس بناء الكوادر الإدارية التي دعت إليها السنة النبوية في المجتمع المسلم عدة مهارات ما يلي:

١) **<u>تنمية مهارة الرقابة الذاتية:</u>**

وأعني بها مراقبة الله في كل حركة وسكنة بغض الطرف عن المتابعة الإدارية من قِبل الرؤساء، وقد جاءت الإشارة إلى ذلك في السنة النبوية النبوية عن أبي هريرة حين سأله رجل عن الإحسان قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ « الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ »[١].

وهذا الحديث لو طُبّق في عالم الإدارة في بلاد المسلمين لكانوا أسرعَ البلاد تقدماً، وأكثرَهم تطوراً.

وَقَالَ ابن حجر نقلاً عن النّوَوِي في معنى هذا الحديث : " وَهَذَا الْقَدْر مِنْ الْحَدِيث أَصْل عَظِيم مِنْ أُصُول الدِّين ، وَقَاعِدَة مُهِمَّة مِنْ قَوَاعِد

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قَوْلِهِ (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ)، حديث رقم (٤٧٧٧).

الْمُسْلِمِينَ ، وَهُوَ عُمْدَة الصِّدِّيقِينَ وَبُغْيَة السَّالِكِينَ وَكَنْز الْعَارِفِينَ وَدَأْب الصَّالِحِينَ"(١).

والمعنى باختصار: أنه يجب عليك أن تحسن العمل وأن تستحضر المراقبة حتى ولو لم يكن يراك أحد فإن الله يراك.

٢) **تنمية مهارة التخطيط:**

والتخطيط عملية فكرية تقوم على المنطق والترتيب والتقدير وإيجاد البدائل، ومن أدلته في القرآن الكريم قوله تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام: (قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ . ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ) (٢).

وعلى ذلك، فإن المسلم مُطالَب بالتخطيط المستقبلي لتفادي الأخطاء والأزمات التي قد تحيق بالأمة في كل مجال.

وفي السنة النبوية كذلك نصوص تدل على التخطيط والعمل حتى يحميَ الإنسانُ نفسه ومَن هم تحت مسؤوليته، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص:

فعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ – رضى الله عنه – قَالَ جَاءَ النَّبِىُّ – صلى الله عليه وسلم – يَعُودُنِى وَأَنَا بِمَكَّةَ ، وَهْوَ يَكْرَهُ أَنْ يَمُوتَ بِالأَرْضِ الَّتِى هَاجَرَ مِنْهَا قَالَ « يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ عَفْرَاءَ » . قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أُوصِى بِمَالِى كُلِّهِ قَالَ « لاَ » . قُلْتُ فَالشَّطْرُ قَالَ « لاَ » . قُلْتُ الثُّلُثُ .

(١) فتح الباري (جـ ١/ صـ ٨٠).

(٢) سورة يوسف آية ٤٧–٤٨ .

قَالَ « فَالثُّلُثُ ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ ، إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِى أَيْدِيهِمْ...."[1].

وهذا تخطيط لضمان جودة معيشة الأسرة حتى بعد موت العائل لتجنب مدِّ الأيدي واللجوء إلى أمور التسول والشحاذة لأن الإسلام لا يحب المذلة ولا السؤال بل يسعى لأن يكون المجتمع المسلم عزيزاً يجد الكفاف ويسعى إلى الغنى.

وشاهدُ ذلك قولُه (ﷺ) للأعرابي الذي ترك ناقته عند باب المسجد النبوي دون أن يعقلها (أعقلها وتوكل) .

فيما رواه عنه الْمُغِيرَةُ بْنُ أَبِي قُرَّةَ السَّدُوسِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسَ ابْنَ مَالِكٍ ، يَقُولُ : قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ ، أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ : اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ"[2].

وفي هذا الحديث إشارة للإداري المسلم بأن يربط برباط متين بين التوكل على الله والتخطيط المستقبلي الذي لا يتنافى مع التوكل على الله ولا مع القضاء والقدر.

هذا.. وإن كل صاحب مشروع يخطط لتنمية مشروعه حتى إنه ليرجو أن يصل به إلى درجة الكمال، وبالمقابل نرى الدعاة لا يعملون على تطوير مشروعهم الدعوي، وهو مشروع الأمة كلِّها، والجيل كله.

(١) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب أَنْ يَتْرُكَ وَرَثَتَهُ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَكَفَّفُوا النَّاسَ، حديث رقم (٢٧٤٢).

(٢) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب اعقلهاوتوكل، حديث رقم (٢٧٠٧). وقا الألباني: حديث حسن.

ومن فوائد التخطيط في الدعوة ما يلي:

١. اختيار الأساليب والوسائل المناسبة للدعوة: فكل مرحلة لها ما يناسبها من الأساليب والوسائل، وكذا كل أهل بلد لهم ما يتماشى معهم.

٢. تطوير الداعية لنفسه، واستزادته من العلوم وتوسعه في الثقافة.

٣. تقديم الأولويات فيما يقوم بمعالجته من قضايا.

٤. التخطيط يختصر الوقت ويوفر الجهد.

٥. رصد التحديات والمخاطر الحقيقية التي تواجه الدعوة الإسلامية.

تنمية مهارة العمل الجماعي:

مما يميِّز المدير الناجح أنه ينزل إلى مَن تحته ولا يتعالى عليهم ولا يُشعرهم بأنهم كمٌّ مهمل لا فائدة تُرجى منهم، بل لا بد أن يُشعرهم بأن العمل لا يمكن أن يتم إلا بهم، وأن أي نجاح إنما تمّ بسبب جهودهم وتفانيهم في هذا العمل، ولا مانع من أن يعمل قائد العمل معهم بيده في العمل الخدمي تماماً كما فعل النبي (ﷺ) مع أصحابه الكرام. وفي السنة النبوية كثير من الأمثلة على ذلك، ومنها:

حفر الخندق: فَعَنِ الْبَرَاءِ – رضى الله عنه – قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يَوْمَ الأَحْزَابِ يَنْقُلُ التُّرَابَ وَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا . فَأَنْزِلِ السَّكِينَةَ عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا . إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا"(١).

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب حَفْرِ الْخَنْدَقِ، حديث رقم (٢٨٣٧).

وفي رواية أخرى للبخاري: "حَتَّى وَارَى التُّرَابُ شَعَرَ صَدْرِهِ"(١).

وهذا يدلنا على أن النبي (ﷺ) ناله من العمل والتعب ما نال أصحابه، كما يدلنا على أنه (ﷺ) كان ينمي في الصحابة روح التعاون والعمل الجماعي ويعمل على محْو الفوارق بينه وبينهم، وهذا مبدأ يجب على جميع المؤسسات في هذا العصر أن تعمل على أساسه حتى تنجح.

إن العمل الجماعي، وبروح الفريق الواحد من أساسيات النجاح، والتقدم في كافة المجالات، ذلك أن روح الأنانية وحب الذات، وحب الظهور تصاحب الفرد غالباً، كما أن من مثالبها الحرصَ على تقديم المصالح الخاصة على المصالح العامة.

وقد جاء في السنة النبوية، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : "قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ"(٢).

وأعتقد أن دعوة المؤسسات أثبتت نجاحها وتفوقها على الدعوة الفردية؛ لأن جهد فرد ليس كجهد جماعة من الدعاة الذين يتبادلون الأفكار ويناقشون المستجدات ويطرحون الأفكار ويرقبون الساحة بما يطرأ عليها، أما الداعية الفرد فيرى بعين واحدة ويعالج بجهد متواضع، ثم هو إلى اليأس أقرب.

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب الرَّجَزِ فِى الْحَرْبِ وَرَفْعِ الصَّوْتِ فِى حَفْرِ الْخَنْدَقِ، حديث رقم (٣٠٣٤).

(٢) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، حديث رقم (٢١٦٧)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

٣) <u>تنمية مهارة تفقد الغائب:</u>

من أهم العوامل الإيجابية التي لها كبير الأثر على نفسية العامل أن يهتم به رئيسُه أو قائده فيشعر أنه بذلك ذو مكانة عنده، وهذا بدوره يدفعه نحو التفاني في خدمته والعمل على راحته، ومن أمثلة ذلك: ما رواه أبو بَرْزَةَ أَنَّ النَّبِىَّ – صلى الله عليه وسلم– كَانَ فِى مَغْزًى لَهُ فَأَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَالَ لأَصْحَابِهِ « هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ ». قَالُوا نَعَمْ فُلاَنًا وَفُلاَنًا وَفُلاَنًا. ثُمَّ قَالَ « هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ ». قَالُوا نَعَمْ فُلاَنًا وَفُلاَنًا وَفُلاَنًا، ثُمَّ قَالَ « هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ ». قَالُوا لاَ. قَالَ « لَكِنِّى أَفْقِدُ جُلَيْبِيبًا فَاطْلُبُوهُ». فَطُلِبَ فِى الْقَتْلَى فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُ فَأَتَى النَّبِىُّ – صلى الله عليه وسلم– فَوَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ « قَتَلَ سَبْعَةً ثُمَّ قَتَلُوهُ هَذَا مِنِّى وَأَنَا مِنْهُ هَذَا مِنِّى وَأَنَا مِنْهُ ». قَالَ فَوَضَعَهُ عَلَى سَاعِدَيْهِ لَيْسَ لَهُ إِلاَّ سَاعِدَا النَّبِىِّ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ فَحُفِرَ لَهُ وَوُضِعَ فِى قَبْرِهِ. وَلَمْ يَذْكُرْ غَسْلاً"(١).

وهذه مهارة يجب أن ينميها كل قائد أو رئيس لمجموعة من العُمّال اقتداءً برسول الله (ﷺ)، وكسباً لقلوبهم، وتخفيفاً عليهم من عبء ما يقع عليهم من أعمال شاقة، وتعويضاً لهم عن ألم الغربة عن الأهل والولد والوطن.

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب مِنْ فَضَائِلِ جُلَيْبِيبٍ رضى الله عنه، حديث رقم (٦٥١٢).

والداعية . لا سيما في المسجد . كالأب بالنسبة لأولاده؛ يتفقد غائبهم، ويزور مريضهم، ويشيع ميتهم.. وهكذا. ومن هنا يأتي الارتباط والود بين الداعي والمدعويين.

أهم النتائج والتوصيات:

من النتائج التي خرج بها الباحث من هذا البحث ما يلي:

١. أن السنة النبوية مشحونة بكثير من المواقف والأحداث التي من شأنها تنمية المهارات في العنصر البشري.
٢. حثت السنة النبوية على بناء الكوادر الإدارية والقيادية في المجتمع الإسلامي.
٣. شجعت السنة النبوية على تنمية المهارات القتالية والأمنية في الجندي المسلم حتى يكون على مستوىً عالٍ من القيادية وقت الحاجة.
٤. كما حضّت السنة النبوية على استنهاض مهارات التفكير العليا في الإنسان المسلم.
٥. العمل على اختيار الكفاءات لقيادة الأمة في المهام الصعبة.
٦. أهمية توزيع الأدوار لإنجاز اشقّ الأعمال.

- **أهم التوصيات:**

١. يوصي الباحث بأن تُفرَد دراسة لكل مبحث من مباحث هذا البحث.
٢. كما أوصي بأن تُكوَّن لجنة علمية تُعنَى بتأصيل العلوم الحديثة (كالتنمية البشرية) وربطها بالسنة النبوية والعلوم الإسلامية وتدريب الدعاة عليها، حتى يجمعوا بين الأصالة والمعاصرة.
٣. كما أوصي بأن يُدرَّس الجزء الخاص بتنمية الجانب العسكري من هذا البحث للجنود والعسكريين في البلاد الإسلامية حتى ينطلقوا من مركز قوة وثقة.
٤. إنشاء مراكز لتدريب الدعاة على فنون التنمية البشرية وكيف يتعاملون بها.